الوضعيّة المُحدَثة

يُمكن القول أنّ **ماكس فيبر** قد سار في خطّ مغاير للخطّ الذي سارت فيه الوضعيّة، لأنّ حواره مع الوضعيّة نفسها يميّز تراثه ويطبعه بطابع خاصّ [1]. فرأي **نيكولا تيماشيف** حول **ماكس فيبر** بأنّه أقام التوليف بين العلم الطبيعي والعلم الروحي على أساس تسليمه المسبق بين العلوم الاجتماعيّة التي تختلف عن العلوم الطبيعيّة اختلافًا واضحًا، فالعلوم الطبيعيّة تتجّه الاهتمامات الإنسانيّة خلالها نحو الضبط، بينما تتّجه الاهتمامات في العلوم الإنسانيّة نحو التقويم، وفي رأي **تيماشيف** يصبح مفهوم الثقافة ذاته مفهوم قيمي، كما تصبح الوقائع الامبريقيّة بالنسبة لنا ثقافة، لأنّنا نربطها دائمًا بالقياس. [2]

من هذا المنطلَق تعود ركائز النزعة الوضعيّة المُحدَثة بعد انهيار المذهب التطوّري إلى ما يتصوّره الوضعيّون الجدد بأنّ مناهج العلم الطبيعي مناسبة لدراسة الظاهرة الاجتماعيّة، حيث نجد الكثير من الكتابات السوسيولوجية تعتمد على أربعة عناصر (النزعة الكمّيّة، النزعة السلوكيّة، النزعة الحسّيّة، النزعة النفعيّة) [3]. تأتي هذه الإيقاعات الوضعيّة الجديدة الرباعيّة لتعبّر بوضوح عن المشروع الرأسمالي، وعليه فإنّ النظريّة الوضعيّة الجديدة تنظر إلى الأشياء كما هي وتتعمّق في وصفها، وتُدركها إدراكًا حسّيًّا جزئيًّا معزولًا عن سياقها التاريخي للوقوف على الأوضاع القائمة وكأنّها نهاية التاريخي الاجتماعي للإنسان ومجتمعه. ومن بين روّاد الوضعيّة المُحدَثة:

- **جورج لندربرج** 1895–1966م، عالم اجتماع عمل في الجامعات الأمريكيّة، شغل منصب أستاذ الاجتماع في جامعة واشنطن، تمّ اختياره عام 1942م رئيسًا للجمعيّة الأمريكيّة لعلم الاجتماع، من أبرز ممثّلي الاتّجاه الوضعي الحديث الذي يهدف إلى تحديد الإجراءات المنهجيّة في ضوء الاتّفاق والاقتناع بتحديد المفاهيم من خلال البحث عن الدلائل التجريبيّة

1- أحمد زايد: **علم اجتماع النظريّات الكلاسيكيّة والنقديّة**، دار الكتب المصريّة، القاهرة–مصر، 1997م، ص95.

2- صلاح مصطفى الفوّال: **معالم الفكر السوسيولوجي المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، 1982م، ص113.

3- كامل محمد عمران: **المدارس الاجتماعيّة المعاصرة**، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2003–2004م، ص237.

أو الإحصائيّة التي تمثّل الظواهر الاجتماعيّة، وتصوّرها في ضوء مجموعة من الإجراءات المحدّدة [4]. ويرى **جورج لندربرج** بأنّ كلّ العلوم الاجتماعيّة أو غير الاجتماعيّة هي بالضرورة أداة أو وسيلة تكيّفيّة، فكلّ بحث يبدأ عادة بعدم التوازن الذي يستشعره الكائن العضوي. وهذا ما يتّفق تمامًا مع النزعة السلوكيّة التي تتجنّب الإشارة إلى أيّة وقائع أو حقائق عقليّة، لذلك تحاول كل ضروب التكيّف في الحياة الإنسانيّة الاقتراب من موقف التوازن الذي يمثّل الحالة الطبيعيّة للأمور، وهذا ما يتّفق مع النظريّة السائدة في العلوم الطبيعيّة المعاصرة. [5]

- **ويليام فيلدينغ أوجبورن** 1886–1959م، عالم اجتماع أمريكي، كان إحصائيًّا ومربّيًا، تلقّى دراسته في جامعة ميرسر وتحصّل على الماجستير والدكتوراه من جامعة كولومبيا، كان أستاذًا لعلم الاجتماع في جامعة كولومبيا من عام 1919م إلى عام 1927م، وعندما أصبح رئيس قسم علم الاجتماع في جامعة شيكاغو، شغل منصب الرئيس الـ19 لجمعية علم الاجتماع الأمريكيّة في عام 1929م، وكان رئيس تحرير مجلّة الجمعيّة الإحصائيّة الأمريكيّة من 1920م إلى 1926م، وفي 1931م تمّ انتخابه رئيسًا للجمعيّة الأمريكيّة الإحصائيّة، وقد لعب دورًا محوريًّا في وضع حجر الأساس للاتّجاهات الاجتماعيّة الحديثة [6]. لقد سعى **أوجبورن** من خلال دراساته إلى الحصول على معاملات ارتباط بين المظاهر المختلفة للظواهر، مؤكّدًا في ذلك على الموضوعات التكنولوجيّة والاقتصاديّة. وكان مؤلّفه الشهير "الآثار الاجتماعيّة للطيران 1936م"، قد جعله قريبًا من الجناح الرياضي للوضعيّة المُحدَثة. [7]

- **فرانسيس ستيوارت تشابين** 1888–1974م، أستاذ علم الاجتماع، تحصّل على شهادة الدكتوراه، انتقل إلى كلّيّة سميث حيث شغل منصب رئيس القسم من 1920م إلى 1940م،

4– محمود أبو زيد: **أعلام الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي الغربي المعاصر**، ج2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 2007م، ص120.

5– نيكولا تيماشيف: **نظرية علم الاجتماع**، ترجمة محمود عودة وآخرين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية–مصر، 1997م، ص287.

6– مصطفى بوجلال: **مرجع سابق**، ص75.

7– نيكولا تيماشيف: **مرجع سابق**، ص305.

كما شغل منصب رئيس رابطة الـ25 لعلم الاجتماع الأمريكي، لعب دورًا هامًّا في إنشاء علم الاجتماع الكمّي الإحصائي في الولايات المتّحدة الأمريكيّة ما بين 1920م و1940م [8]. يصنّف على أنّه وضعي مُحدَث معتدل كونه استعان بالاتّجاه التجريبي الذي يتميّز بدقّة المنهج التجريبي، والفكرة الأساسيّة التي يرتكز عليها هذا المنهج كما ورد في مؤلّفه "التصميمات التجريبيّة في البحوث السوسيولوجيّة"، تدور حول منطق التجربة المعمليّة، لقد وافق **تشابين** الوضعيّة المُحدَثة في تأكيدها على التعريفات الإجرائيّة في العلوم الاجتماعيّة بالرغم من أنّه اتّخذ موقفًا معتدلًا منها، فلقد أشار في كتاباته بأنّ ما يسمّى بالتعريف الإجرائي لا يُعدّ حلًّا نهائيًّا، بل هو مجرّد تطوّر نحو تحقيق المزيد من الموضوعيّة.

وعمومًا فإنّ علماء الاجتماع الرياضيّين وغيرهم من الوضعيّين يميلون إلى الاهتمام بالاتّجاه الوضعي الذي يسعى إلى تأكيد أنّ العلم وحده هو الذي يملك الحقيقة، كما يتّفقون مع **أوغست كونت** في اعتماد الملاحظة والاستدلال عند إجراء التحليل السوسيولوجي. وهنا يصرّح **تيماشيف** أنّه في الوقت الذي تلاشت فيه الواقعيّة المعتدلة عند **كونت** لتحلّ محلّها نزعة إسميّة متطرّفة، اختفت تلك المماثلات العضويّة التي قدّمها **كونت** خاصّة في ما يتعلّق بالفيزياء الاجتماعيّة. لذلك أُستبدِلت قضيّة التقدّم الاجتماعي التي أثارت **كونت** والروّاد المؤسّسين لعلم الاجتماع بنموّ تراكمي في النظريّة السوسيولوجيّة العلميّة [9].

ممّا سبق فإنّ روّاد الوضعيّة اهتمّوا بالمسائل المتّصلة بالسياسة الوضعيّة وعبادة الإنسانيّة، وأهملوا النواحي العلميّة والمنهجيّة في الفلسفة الاجتماعيّة، فهم لم ينجحوا في الوقوف موقفًا حاسمًا بصدد المشاكل الحاصلة بسبب تعمّقهم بالاتّجاه الديني، لذلك اهتمّوا بنشر الديانة الوضعيّة وأصدروا مجلّة اجتماعيّة باسم المجلّة الوضعيّة [10].

8- مصطفى بوجلال: **مرجع سابق**، ص76.

9- **المرجع السابق**، ص309.

10- مصطفى الخشّاب: **علم الاجتماع ومدارسه**، ط3، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1975م، ص95.